

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصلاة على النبي

محاولة كلامية عن أعظم رجل في تاريخ الإنسانية

مُحَمَّدٌ.. فَالِدَوَى (1) وَ الظَّامِيءُ الْقَلَمُ  
رَنَّتْ إِلَيْهِ فَهَلَّتْ فَوْقَهَا الدَّيْمُ  
وَ كُلُّ زَاهِرَةٍ فِي الأفقِ سَاهِرَةٍ  
حَجَّتْ لِأَمْنَةٍ تَحْبُو وَتَسْتَلِمُ  
مَاذَا أَقُولُ بِهِ وَ الشَّعْرُ أَجْمَلُهُ  
أَضْحَى فَعِيداً بِبَابِ الوَحْيِ يَحْتَشِمُ  
مَاذَا أَقُولُ وَ قَوْلُ اللَّهِ بَاتَ عَلَى  
بَابِ الرَّسُولِ الَّذِي دَانَتْ لَهُ الأُمَّمُ  
لَكِنَّ مَدْحَ رَسُولِ اللَّهِ تَكْرُمَةً  
مِنَ الحَبِيبِ وَ عَقلاً يُحْمَدُ الكَرَمُ  
وَ اللَّهُ الزَّمَنِي الزَّلْفَى بِهِ فَأَنَا  
بِمَدْحِهِ وَ بِحُبِّ اللَّهِ مُلْتَزِمُ  
يَا لَيْلُ مِنْ ذِمَّةِ التَّارِيخِ هَاتِ لَنَا  
مَاذَا بِمَكَّةَ حَتَّى الكَوْنُ مُبْتَسِمُ  
وَ الفَجْرُ طَوَّقَ حَصْرِ الأَرْضِ يَغْمُرُهَا

<sup>1</sup> جمع دواة وهي المحبرة .

و البَحْرُ يَسْأَلُهُ و السَّهْلُ و العَلَمُ:  
مَآذَا بِمَكَّةَ حَتَّى الدُّرْفِي جَدَل  
مَعَ المَحَارِ .. و زَهْرُ الفَلِّ يُغْتَنَمُ  
و الأفقُ مُغْرورِقُ حُبًّا و مِن فَرَحِ  
لولا اِبْتِلالُ جَنَاحِ حَلَقِ الأَكْمِ  
و بَيْتُ مَنْ وَهُوَ مِن شَعْرٍ وَمِن وَبَرٍ  
ذالكِ الذِي بِالنَّجُومِ الزُّهْرِ يَزِدِّحُمُ  
و مَنزِلُ بَشَرٍ أَهْلُهُ كَيْفَ عَدَا  
مِنَ المَلائِكِ بَوَّابُوهُ و الحَشَمُ  
هَذَا بِجُنْحَيْنِ مِن بَدْرَيْنِ مُنْحَدِرُ  
و ذابِرُ مَحْيِنِ مِن شَمْسَيْنِ مُتَتِمُّ  
و تِلْكَ كَوَكَبَةٌ فِي كَمِ زُمُرْدَةٍ  
عَطْرًا تَشَهَّى ثَرَاها الرِّوَضُ و الأَجَمُ(2)  
و فِرْقَةٌ بِحَرِيرِ النُّورِ حَامِلَةٌ  
مَهْدًا لِطِفْلِ بِهٍ لَمْ تَحْلِمِ النُّجْمُ  
\*\*\*

و العَصْرُ كَيْفَ؟ كَمَا الزَّنْجِيُّ مُنْسَجِقًا  
مِن عَضَّةِ القَيْدِ يُدْمِي قَلْبَهُ الأَلَمُ  
إِنْ يَشَاكُ يُقْتَلُ و إِنْ يَثَارُ لِمَظْلَمَةٍ  
دَارَتْ عَلَيْهِ لِتَفْرِي لِحَمَّةِ النَّقْمِ  
و كَمِ رَجَا صَنَمًا حِينًا، لِيشْتَمُهُ

حِيناً، وَ يَبْقَى عَلَى لَأ شَيْءِ الصَّنَمِ  
فَارْبَدَّ وَ اسْوَدَّ كَادَ الْيَأْسُ يَقْتُلُهُ  
مَاذَا السَّمَاءُ وَ هَذَا الْقَهْرُ وَ الظَّلْمُ  
لَكِنَّهُ طَافَ بِالْمَوْلُودِ مُبْتَسِمًا  
وَ لَمْ يَكُن قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَبْتَسِمُ  
فِي حَدْسِهِ أَنَّ هَذَا الطِّفْلَ نَظَرْتُهُ  
بِهَا وَ شَيْكًا قُبُودُ الْجَوْرِ تَتَحَطَّمُ

\*\*\*

يَا خَاضِبًا مَفْرِقَ التَّارِيخِ تُوجِعُهُ  
بِالثُّورَةِ الْحَقِّ إِذْ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ  
أَرْجَعْتَهُ مِنْ جُنُونِ الْكُفْرِ تُفْهِمُهُ  
أَنْ يُنْقَى اللهُ لَا أَنْ يُنْقَى الصَّنَمُ  
يَا سَيْفَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ الَّتِي خَشَعَتْ  
فِيهَا بِمِعْرَاجِكَ الْأَقْمَارُ وَ النُّجُومُ  
خَيْرُ النَّبِيِّينَ مَنْ أَسْرَى الْبَرَاقُ بِهِ  
فَالْقُدْسُ مَهْبِطُهُ وَ الْبَيْتُ وَ الْحَرَمُ  
يَا مَنْ بِتَسْبِيحِهِ أَنَّ الْوَجُودُ بِهِ  
سِرُّ الْجَمَالِ بِمَجْدِ اللهِ يَعْتَصِمُ  
يَا مَنْ بِحَمْدِ إِلَهِ الْكَائِنَاتِ غَدَا  
فَالْبَارِقَاتُ فَمُّ وَ الْمَاطِرَاتُ فَمُّ  
يَا مَنْ بِتَكْبِيرِهِ .. مَاذَا الْأَنَامُ وَمَا  
عُلُومُهُمْ إِنْ تَجَلَّى اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ

و رُبَّ مُحْتَكِمٍ لِلْعِلْمِ يَسْأَلُهُ  
و الْعِلْمُ تَصَدَّقُ فِيهِ الْعَيْنُ وَالرَّقْمُ  
ما الشمسُ والأرضُ في هذا الفضا؟ فَقَضَى  
عَيْنٌ و دَمَعْتُهَا .. وَالذَّمْعُ يَنْسَجِمُ  
كَأَنَّهَا فَوْقَ وَهُمْ الْعَقْلِ قَافِلَةٌ  
فِيهَا شُمُوسٌ بِبَحْرِ الْمَجْدِ تَلْتَطِمُ  
لِكُلِّ شَمْسٍ قَطِيعٌ فِيهِ سَارِحَةٌ  
تَمْضِي فَيَمْضِي كَحَبِّ الْعَقْدِ يَنْتَظِمُ  
فَقِيلَ عَنْ طَوْلِهَا طَوْلُ الدُّهُورِ و عَنْ  
حَجْمِ لَهَا.. وَحَدَهُ عِلْمٌ مَا عَلِمُوا  
نَاهِيكَ عَنْ سَيْرِهَا مِنْ حَيْثُ وَجْهَتَهَا  
أَوْ عَنْ تَبْصُرِهَا و الْكَوْنُ مُزْدَحِمٌ  
أَوْ عَنْ سَلَامَتِهَا عَبْرَ الزَّمَانِ وَقَدْ  
رَاحَتْ إِلَى أَبَدٍ يَسْتَأْفِقُهَا الْقَدَمُ  
و مِثْلَهَا قُلْ مَجْرَاتُ كُلِّ سَمَاءٍ  
تُظَنُّ أَعْدَادُهَا و الظَّنُّ يُتَّهَمُ  
و كَلُّ ذَلِكَ فِي كُرْسِيِّ عِزَّتِهِ  
كَخَلْقَةٍ فِي خِضَمِ الثَّبَرِ تَرْتَسِمُ  
و ذَلِكَ الْمُشْتَهَى اللَّامُنْتَهَى عَجَبًا  
فِي عَرْشِهِ خَلْقَةٌ فِي الْبَيْدِ فَاحْتَكِمُوا  
و "الله أكبر" أَبَانَ الرَّسُولُ بِهَا  
صَلَّى و كَبَّرَ أَحْنَتِ رَأْسَهَا الْقِمَمُ

و السَّابِقُونَ، بِهَا انْقَضَتْ صَوَارِمُهُمْ  
فَالْكَفْرُ شِلْوٌ<sup>(3)</sup> وَ ظَهْرُ الشَّرِكِ يَنْقَصِمُ

\*\*\*\*

إِبْنُ الذَّبِيحِينَ كَانَ الْكَبِشُ أَضْحِيَّةً  
لِجَدِّهِ، وَأَبِيهِ الْمَاءُ النَّعْمُ  
فَارْفَعْ يَدًا لِلسَّمَاءِ فِي عِيدِ أَحْمَدِهَا  
وَ احْمَدُ وَصَلَّ عَلَيْهِ تَهْطَلِ النَّعْمُ  
وَ أَنْظِرْهُ فِي لُجَّةِ الْمِرَاةِ مُقْبِلَةً  
رَايَاتُهُ وَقِلاَعُ الْعَدْرِ تَنْهَدِيمُ  
فَالنَّفْسُ ثِنْتَانِ: مِرَاةٌ مُنَوَّرَةٌ  
وَ غَيْرُ نَيْرَةٍ تَهْوِي فَتَنْحَطِمُ  
وَ الْعَقْلُ إِنْ شَفَّهُ النُّورُ اجْتَبَسَ شِيمًا  
وَ نَيْرَاتُ الْمَرَايَا رُوحَهَا الشَّيْمُ  
وَ كَمَ تَقَوُّضَ دُونَ النُّورِ مُجْتَمَعُ  
عَامَتُ مَرَايَاهُ : لَا دِينَ وَ لَا قِيمُ

\*\*\*\*

حُكَّامُ كَمَ دَوْلَةٍ عُظْمَى وَمَا عَظُمُوا  
إِلَّا لَدَى الْبُلْهِ، لَا كَانُوا وَ لَا حَكَمُوا  
فَالْحَاكِمُ اللَّهُ مِنْهُ الْخَسْفُ وَ النَّقْمُ  
وَ مِنْهُ أَنْ تَرَعِدَ الْوَدْيَانُ وَ الْقِمَمُ  
وَ مِنْهُ دَمْدَمَةُ الْبُرْكَانِ وَ الْحِمَمُ

و مِنْهُ جَائِحَةٌ الزَّلْزَالِ وَالْعِظْمُ  
و مِنْهُ لَعْنَةٌ أَبْوَابِ الْجَحِيمِ عَلَى  
مَنْ نَدَّ وَ ارْتَدَّ وَ اغْتِيلَتْ بِهِ الْحُرْمُ  
وَأَنْعَمُ الرَّحْمَاتِ الْخَالِدَاتِ لِمَنْ  
بِمَجْدِهِ أَيْقَنُوا وَالْفَائِزُونَ هُمْ